

المواجهات الاستراتيجية

لم تكن المواجهة المحدودة التي حدثت مقطوعة الصلة عن الوضع الراهن الذي تجتازه المفاوضات المصرية - الاسرائيلية ، والذي يتسم بأربع مميزات :

اولا : اصرار اسرائيل ، مدعوم من قبل الولايات المتحدة ، على « حل » يضمن لها السيطرة العسكرية الساحقة فضلا عن احتلال الارض ، فقد بات واضحا ، منذ زيارة السادات الى القدس ومرورا باحتماعات اللجنتين السياسية والعسكرية ولقاء السادات - بيغن في الاسماعيلية ، فضلا عن اللقاءات السرية التي عقدت خلال تلك الفترة ، ان ثمة ثوابت في التصور الاسرائيلي لنوعية « التسوية » يستحيل ان تخضع لاي لون من اللوان اعادة النظر ، وفي طليعتها : رفض اعادة سيناء الى رفض التخلي عن مستعمرات رفح ، رفض الانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة ، رفض الدولة الفلسطينية ، رفض الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، رفض اعادة القدس او تقسيمها او تدويلها .

وإذا وضعنا جانبا مسألة الحقوق الوطنية الفلسطينية ، باعتبار انها غير واردة في البرنامج الساداتي بأي حال ، رغم الضجيج الاعلامي حولها ، وجدنا ان المشروع المقترح بشأن سيناء نفسها يشكل استيلاء قانونيا وعسكريا عليها ، لا صلة له بادعاء السادات « ان لا مشكلة حول سيناء » وقد اتفقنا بشأنها .

ثانيا : انتقال السادات من هزيمة الى اخرى ، بصورة دفعته الى الاكثار من اطلاق نداءات الاستغاثة والمناشدات العاطفية للمسؤولين الاسرائيليين مرة ، وللدول الاوروبية اخرى ، ولليهود الاميركيين ثالثة ، ودفعت وسائل الاعلام الغربية الى التعاطي معه من زاوية الشفقة والملامة بسبب « افراطه في تقديم تنازلات الى الاسرائيليين لظهار حسن نيته» كما ذهب اليونانيتدبرس الى القول .

وتجد هذه الهزائم تفسيرها ، بالاضافة الى عامل التصلب الاسرائيلي ، في عجز النظام المصري نفسه عن « ابتلاع » الحل المعروض عليه ، وتبريره امام الدول العربية التي ساندته او ناهضته ، وامام الرأي العام الداخلي على حد سواء ، وذلك لاسباب عدة ابرزها استمرار وجود قوى في وزارة الخارجية والدفاع ومكتب الرئاسة ، هاجمها مناحيم بيغن اكثر من مرة وحملها مسؤولية تعثر المفاوضات غير مستعدة بعد لجارة السادات في كامل خطواته الخيانية ، وراغبة في الحصول على تنازلات اسرائيلية معينة في شأن حدود مصر الاقليمية مقابل التفريط بالحقوق القومية العربية .

من كل ذلك ، نخلص الى ان الوضع المصري الداخلي ما زال يحتاج الى تمهيد ومعالجة مديدة ، قبل ان يصبح جاهزا لتلقي الحل الاسرائيلي المفروض .

ثالثا : دخول المفاوضات المصرية - الاسرائيلية مرحلة الدبلوماسية السرية التي نصح بها كيسنجر ، واستجاب لها كارتر وفانس في بيان شهير لهما .

وقد شكل هذا الانعطاف في شكل المفاوضات مخرجا ضروريا للسادات ينقذه من التزاماته العلنية ، ولو لفظية ، بتحقيق الانسحاب الاسرائيلي الكامل من سيناء وانتزاع الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، بعد ان وضعته « دبلوماسية التلفزيون » امام مأزق لا خروج منه ، وسببت له احراجا متزايدا .

وليس الاتفاق الذي اقر في كمب ديفيد على اثر عودة الفرد ائرتون الى منطقة الشرق الاوسط